الصفات الذاتية في سورة آل عمران
دراسة كلامية

The Self-Attributes in Surat Al-Imran:
A Theological Study

الاستاذ المساعد الدكتور أحمد حسن قاسم.
جامعة الشطرة - كلية التربية للبنات

Assistant Professor Dr. Ahmed Hassan Qasim.
Workplace: Shatrah University/ College of Education for Girls.
ahmadhassan1981@shu.edu.iq

الملخص

فإنّ مسائل علم الكلام تعدّ من أهم المسائل الدينية التي أولاها القرآن الكريم والسّنة النبوية اهتماما بالغا باعتبارها الأساس الذي تُبنى عليه عقيدة المسلم الصالح، وقد عقدت في هذه المسائل المؤلفات وكتب المصنفات بنفس الاعتبار، وهو الأساس الذي شغله معنى تلك المسائل التي ذكرها الله سبحانه في محكم كتابه وفي صفاته تعالى لما تحمله من معانٍ ودلالات في ذات الموصوف جلّ جلاله. وصفات الله سبحانه وتعالى كثيرة في القرآن الكريم، وقد انصب نظري على أن اختار الصفات الذاتية في سورة آل عمران إيمانا منّي بأهمية تلك الصفات ورغبتي في هكذا مواضيع تخصّ كلّ فرد مسلم آمن بالله تعالى

الكلمات المفتاحية: الصفات الذاتية، العلم، القدرة، علم الكلام، الحياة

Abstract

The issues of theology are among the most important religious issues that the Holy Quran and the Sunnah of the Prophet have given great attention as they are the basis on which the belief of the righteous Muslim is built. These issues have been written and compiled

with the same consideration, which is the basis that occupied the meaning of those issues that God Almighty mentioned in His decisive book and in His attributes, as they carry meanings and connotations in the essence of the described, may He be glorified and exalted.

The attributes of God Almighty are many in the Holy Quran, and my focus was on choosing the self-attributes in Surat Al-Imran, believing in the importance of those attributes and my desire for such topics that concern every Muslim who believes in God Almighty

Keywords:
The self-attributes, knowledge, ability, theology, life

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد:

فإنّ مسائل علم الكلام تعدّ من أهم المسائل الدينية التي أولاها القرآن الكريم والسّنة النبوية اهتماما بالغا باعتبارها الأساس الذي تُبنى عليه عقيدة المسلم الصالح، وقد عقدت في هذه المسائل المؤلفات وكتب المصنفات بنفس الاعتبار، وهو الأساس الذي شغله معنى تلك المسائل التي ذكرها الله سبحانه في محكم كتابه وفي صفاته تعالى لما تحمله من معانٍ ودلالات في ذات الموصوف جلّ جلاله.

وصفات الله سبحانه وتعالى كثيرة في القرآن الكريم، وقد انصب نظري على أن اختار الصفات الذاتية في سورة آل عمران إيمانا منّي بأهمية تلك الصفات ورغبتي في هكذا مواضيع تخصّ كلّ فرد مسلم آمن بالله تعالى، وهذا سبب لاختيار الموضوع.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في أمرين هما:

١ـ الاهتمام بالبالغ الذي حظيت به مسائل علم الكلام في القرآن الكريم.

٢ـ تسليط الضوء على صفات الخالق الذاتية في القرآن الكريم والتمييز بينها، سائر الصفات الأخرى.

إشكالية البحث:

ثمة إشكالات كثيرة طرقها بعض العلماء، بأنّه لا يجوز الخوض في صفات الله سبحانه وتعالى، ويجب على كل مسلم أن يؤمن بها إيمانا إجماليا، وفي الوقت ذاته نرى أنّ القرآن الكريم قد تطرق لتلك الصفات وقسّمها بحسبها، وعليه يمكن معالجة هذه الإشكالية عن طريق البحث المقدّم.

أهم المصادر: اعتمدت في بحثي المقدم على أهم المصادر الآتية:

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ كتب علم الكلام.

هيكلية البحث: يتكون البحث المقدم من مقدمة ومبحثين وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع المعتمدة.

تناولت في المقدمة سبب اختيار الموضوع وأهميته وإشكاليات البحث، وأما المبحث الأول فكان عنوانه: الصفات الإلهية في علم الكلام، وقد قسمته على مطلبين، المطلب الأول: اسميته: الصفات الثبوتية، وقد قسمت المطلب الأول على مقصدين هما: المقصد الأول: الصفات الذاتية، والمقصد الثاني: الصفات الفعلية، أما المطلب الثاني فبحثت فيه الصفات السلبية.

أما المبحث الثاني فخصصته للبحث التطبيقي فكان عنوانه: نماذج تطبيقية للصفات الذاتية في سورة آل عمران، وقد أنهيت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج المستخلصة من الدراسة، تلتها قائمة تضمّ مصادر البحث ومراجعه.

المبحث الأول
الصفات الإلهية في علم الكلام

إنّ الله سبحانه وتعالى هو العلة الموجودة للكون توجد فيه كمالات الوجود وكل أنواع الكمالات المتوافرة في أي موجود وإنما هي مستمدة منه دون أن ينقص من كمالاته شيء عند إفاضتها على مخلوقاته، وتناول علماء الكلام أدلة وجود الخالق وقبلها وجوب المعرفة على كون فرد أن يتعرف على وجود خالقه وبعد إتمام أدلة وجود خالق الكون تعرض المتكلمون إلى أهم صفات هذا الخالق وقسموها ضمن مباحث وهي صفات ثبوتية وصفات سلبية، والصفات الثبوتية بدورها تنقسم إلى قسمين صفات ذاتية وصفات فعلية، وهذا مما استعرضه في طيات بحثي المقدم.

المطلب الأول
الصفات الثبوتية

إنّ المعروف بين علماء الكلام أنّهم يقسمون صفات الله على قسمين: صفات الجمال وصفات الجلال، وأنّ صفات الجمال أي الايجابية الثابتة له تعالى من قبيل العلم، والقدرة، والحياة، ويقصدون بصفات الجلال الصفات السلبية التي يجلّ الله تعالى عنها.

وهناك تقسيم آخر لصفات الله، وهي الصفات الذات وصفات الفعل، ويقصد بالذات الذاتية لذاته تعال كالعلم والحياة، وصفات الفعل الثابتة له تعالى من حيث فعله وعلاقته[1].

ونعتقد أنّ من صفاته تعالى (الثبوتية الحقيقة الكمالية)، وتسمى بصفات (الجمال والكمال)، كالعلم والقدرة والإرادة والحياة، وهي كلها عين ذاته، وليست بصفات زائدة عليها وليس وجودها إلا وجود الذات فقدرته من حيث الوجود حياته، وحياته قدرته، بل هو قادر حيث هو حي، وحي من حيث هو قادر[2].

أما الصفات الثبوتية الإضافية كالخالقية والرازقية والتقدم، فهي ترجع في حقيقتها إلى صفة واحدة حقيقية وهي القيومية لمخلوقاته، وهي صفة واحدة تتنوع فيها عدة صفات[3]. وتسمى بالصفات الجمالية

وصفات الإكرام، فهي الصفات المثبتة بجمال في الموصوف ذاته وفعله، كالعلم، والقدرة والإرادة والإدراك[٤].

وتنقسم هذه الصفات على قسمين:

أ ـ الصفات الثبوتية الذاتية: وتكون الذات الإلهية مصداقا عينا لها.

ب ـ الصفات الثبوتية الفعلية: وتعبّر عن نوع نسبة وإضافة بين الله تعالى ومخلوقاته، وتمثل الذات الإلهية وذوات المخلوقات طرفي الإضافة والنسبة أمثال صفة الخالقية[٥].

وسنبحث هذه الصفات في مقصدين.

المقصد الأول: الصفات الذاتية:

وهي الصفات التي يكون ثبوتها لله تعالى من خلال لحاظ الذات الإلهية فقط، ومن دون لحاظ أي شيء آخر مثل: العلم، والحياة، والقدرة[٦]. إنّ الصفات الذاتية هي الممتدة مع الذات كالعلم والحياة بالذات وليست زمانية ولا حاجة في اتصاف الذات بها إلى فرض آخر خارج عن الذات الإلهية[٧].

يدلّ الوصف بها على نفس الذات دون معان زائدة عليها. إنّ الصفات الذاتية أي أنها لا تدل على شيء زائد على الذات، فالذات نفسها لا تتصل إلا بوجودها[٨].

١ـ العلم:

العلم يقابل الجهل، وهو يعني حضور صور الأشياء واستكشافها في باطن الأرض، أي إن وجد صفة العلم. وعلم يتعلق بصفة وإيجاده وإبداعه الأشياء الممكنة بمعنى ظهورها عنده، وأنّ الله سبحانه وتعالى هو العالم بما خلق وصنع وأبدع، وإنّ سعة علم الله سبحانه لكل ما يمكن كونه معلوما، وقد تحقق وحدة الله واجب الوجود، وكل ما سواه يمكن أفاض الله سبحانه عليه الوجود وخلقه من العدم ولابد أنْ يعرف ما خلق ويعلم خصوصيته[٩]. كما في قوله تعالى: (**وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**)[١٠]، نشير ـ هنا ـ إلى علم الله سبحانه وتعالى ضمن الكلام وضمن ما نزل في الآيات القرآنية[١١]، كما في قوله تعالى: (**يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**)[١٢].

عُرِّف العلم بأنّه صورة حاصلة من الشيء في الذهن، وهذا التعريف لا يمثل إلا العلم الحصولي مع أنّ هناك قسما آخر للعلم الحضوري[١٣] . ولا يخفى أنّ مقتضى صرفيته تعالى أنّه لا يعزب عن علمه شيء من الأمور؛ لأنّ الجهل بشيء فقدان أو نقص، وهو ينافي اللاحدية الثابتة لذاته تعالى، وحيث كان الله تعالى علّة لكل شيء، فالعلم بذاته مما هو عليه علم بكونه مبدوء وعلّة لجميع معلولاته، فالعلم بذاته عين العلم بالمعاليل[١٤].

إنّ علمه سبحانه في الأزل ليس بمعلول معين حادث تابع لماهية بمعنى خصوصيته العلم وامتيازه عن سائر العلوم بمعنى أنّه تعالى عالم لما في الأزل[١٥]، إنّ كون الله سبحانه عالما هو إذا نظرنا إلى هذا الكون المتراحب لوجدنا مظاهر التناسق

والحكمة والإبداع في كل صغيرة وكبيرة، وبما أنّ الله هو الفاعل لهذا الكون فلا بد أن يكون عالما[١٦].

٢ـ الحياة:

اتفق الإلهيون على أنّ الحياة من صفاته تعالى، وأنّ الحي من أسمائه الحسنى، ولكن إجراء هذا الاسم عليه سبحانه يتوقف على فَهْم معنى الحياة، وكيف أجراها على نفسه تعالى، فنقول الإدراك والفعل ركنا الحياة[١٧].

فالله تعالى حيّ لأنّه قادر، وعالم وكل من هو كذلك فهو حي عندما تنتفي القدرة والعلم والشعور لم يعد هناك حياة، وقد أثبتنا أنّ الله تعالى قادر عالم فثبت أنّه حيّ[١٨]. كما في قوله تعالى: (**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ**)[١٩].

والحياة في واجب الوجود تعالى من هذه المقولة: العقل والإدراك، لكنها بمكان واجبة الوجود منزهة عن كل نقص فتكون حياته تعالى عبارة عن اتصافه بالقدرة والعلم والكاملين المنزهين عن أية أداة وانفعال لو انطباع صوره يعبر عنها بـ(الفعالية والإدراكية)، وهما صفتا مبالغة من الفعل والإدراك للإشارة إلى عظمته[٢٠]، إنّه تعالى حي لأنه قادر عالم فيكون حيّا بالضرورة يختلف مفهوم الحياة عند الله تعالى عما هو عند المخلوقات فحياة المخلوق متوقفة على وجود الخالق ولا تتحقق إلا بفعله بينما الحياة عند الله فتعني الفعل والإدراك ولا شيء سواهما. وهما قائمتان بالذات المقدسة[٢١].

إنّ الحياة التي يثبتها العقل والشرع لله تعالى لا يمكن أن تشبه من قريب ولا من بعيد حياة المخلوق التي لها بداية ونهاية، وحياة الله أبدية أزلية، أما الحياة لله جلّ وعلا فهي حياة صورية مستقلة لا تحتاج إلى شيء يغذيها أو يمدها، إنّ الله تعالى هو الكمال المطلق في ذاته[٢٢].

٣ـ القدرة:

القدرة عبارة عن مبدئية الفاعل المختار للعمل الذي يمكن صدوره عنه، وكلما كان الفاعل أكثر تكاملا في مراتبه الوجودية كان أكثر قدرة. وبطبيعة الحال فالموجود الذي يتوافر على الكمال اللامتناهي له قدرة غير محدودة[٢٣]. قال تعالى في محكم كتابه: (**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[٢٤].

وقد عرّف الفلاسفة القدرةَ بأنّها عبارة عن صدور الفعل بالمشيئة والاختيار، فالقادر من أن شاء فعل وإنْ لم يشأ لم يفعل، وإنّ الهدف من وصفه تعالى بالقدرة هو إثبات لجمال وكمال له وتنزيهه عن النقص أو توهم عيب عن حقه سبحانه وجب تجريدها عن ذلك، وتمحيضها في الكمال المطلق، وهذا لا يختصّ بالقدرة بل بالصفات الحيادية عليه ومشروطة به[٢٥].

تقابل القدرة العجز، وهي تعني المكنة على الفعل الواردة وعلى عدم الفعل لو شاء، وحيث تحقق أنّه صانع الوجود سبحانه وخالق الكون من العدم تحقق أنّه غير عاجز[٢٦]. كما في قوله تعالى:)**إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**([٢٧].

عـرّف الفلاسـفة القـدرة: بأنّهـا عبـارة عـن صـدور الفعـل بالمشـيئة والاختيـار، فالقـادر مـن أنْ شـاء فعـل، وإنْ لم يشـأ لم يفعـل، وأنّ الهـدف مـن وصفـه تعـالى بالقـدرة هـو إثبـات لجـمال وكـمال لـه وتنزيهـه عـن النقـص أو توهـم عيـب عـن حقـه سـبحانه وجـب تجريدهـا عـن ذلـك، وتمحيضهـا في الكـمال المطلـق، وهـذا لا يختـصّ بالقـدرة بـل بالصفـات الجاريـة عليـه ومشروطـة به[٢٨].

وتقابـل القـدرة العجـز، وهـي تعنـي المكنـة عـلى الفعـل لـو أراده وعـلى عـدم الفعـل لـو شـاءه، وحيـث تحقـق أنّـه صانـع الوجـود سـبحانه وخالـق الكـون مـن العـدم تحقـق أنّـه قـادر غـير عاجـز[٢٩]. كـما في قولـه تعـالى: (**إِنَّ اللَّـهَ يَفْعَـلُ مَـا يَشَـاءُ**)[٣٠]، وقولـه تعـالى: (**وَرَبُّـكَ يَخْلُـقُ مَـا يَشَـاءُ وَيَخْتَـارُ**)[٣١].

إنّ تعـالى قـادر عـلى كل مقـدور الحـق ذلـك لأنّ لمقتـضى لتعلـق القـدرة بالمقـدور وهـو الإمـكان فيكـون اللـه تعـالى قـادرا عـلى جميـع المقـدورات[٣٢].

إنّ القـدرة هـي إمكانيـة صـدور الفعـل وتركـه عـن الفعـل والقـادر أي أنّـه إن شـاء فعـل، وإنْ شـاء لم يفعـل، ويـترك، فالقدرة لا تطلـق إلا إذا كان العلـم الشـعوري مبدئيـة في ظهـور الفعـل وتركـه وإن قدرتـه تعـالى عامـة ولا تختـص بـشيء فـإنّ الاختصـاص أثـر المحدوديـة، وهـو تعـالى محيـط بـكل شيء ولا موجـب بعـد إحاطتـه وكمالـه للاختصـاص، فهـو قـادر عـلى كلّ شيء، إنّ قـدرة اللـه المطلقـة هـي التأمـل في ظواهـر الوجـود ومـا يتجـلّى فيهـا مـن قـدرة اللـه تلـك القـدرات التـي يخضـع لهـا العقـل البـشري. وبالرغـم مـن محدوديـة العلـم الإنسـاني الوجـود وحالتـه غـير التأمـل في هـذا أو اكتشـافه مـن أسرار العـالم يعـدّ كافيـا للدلالـة عـلى قـدرة اللـه تعـالى[٣٣].

٤ـ الإدراك:

الإدراك فينـا صفـة زائـدة عـلى العلـم فـإنّ هنـاك فرقـا بـين علمنـا بحـرارة النـار وبـرودة الثلـج، وعذوبـة الصـوت الحسـن، وبـين إدراكنـا لهـا، فـإنّ إدراكنـا لهـا يتبـع انفعـالات وتأثـرات جسـدية بخـلاف مجـرد العلـم بهـا فإنّهـا حـال عـن ذلـك الإحسـاس الزائـدة. والإدراك بهـذا المعنـى مسـتحيل في حقه سـبحانه، لا تسـتلزمه الأدوات الجسـمية والتغيـرات النفسـية وكلهـا سـمات الفقـر والنقـص، واللـه تعـالى واجـب الوجـود، فهـو منـزّه عنهـا فـلا منـاص أمامنـا في وصفـه تعـالى بـالإدراك إلا أنّ نحـصر إدراكـه تعـالى بمعنـى (علمـه بالمـدركات)[٣٤]. وقـد وصـف اللـه تعـالى في كتابـه الحكيـم بصفـة الإدراك، وذلـك قولـه تعـالى: (**لا تُدْرِكُـهُ الأَبْصَـارُ وَهُـوَ يُـدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُـوَ اللَّطِيـفُ الْخَبِـيرُ**)[٣٥]، إنّـه سـبحانه أولى بالموجـودات الممكنـة بصفـة الإدراك عـالم بجميعهـا وإدراكـه لهـا مقتـضى حياتـه فهـو يـدرك جميـع الموجـودات المدركـة[٣٦]، ووصفـه بكونـه مـدركا فالأكـثرون جعلـوا لـه بذلـك وصفـا زائـدة عـلى كونـه حيـا عالمـا، واجتمعـوا لذلـك. والحـق أنّـه ليـس زائـدا عـلى كونـه بالمـدرك والزيـادة التـي أشـاروا إليهـا ليسـت

إلا تأثيرا لمدرك في محلّ الإدراك لا أكثر[٣٧].

٥ـ السميع البصير:

لا يرتاب مسلم في أنّ الله تعالى سميع بصير، بعد تواتر وصفه بهما في ماهية سمعه وبصره تعالى. من المعلوم أنّ السمع للإنسان وبصره لا يسيران إلا بواسطة أدوات مادية أو انفعالات عصبية خاصة، وهذا المعنى يستحيل تصوره في الباري تعالى لتنزهه عن المادة؛ لأنّه واجب الوجود كما في قوله تعالى: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)[٣٨]، بمعنى كونه تعالى سميعا أنّه عالم بالمسموعات بلا واسطة. ومعنى كونه تعالى بصيرا أنّه عالم بالمبصرات بلا واسطة، وعلى هذا يكون السمع والبصر فيه تعالى من شُعَب علمه. ويكون علمه تعالى بالمسموعات كافيا في وصفه بأنّه سميع وعلمه بالمبصرات كافيا في وصفه أنّه بصير[٣٩]. كما في قوله تعالى:)**إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ**[٤٠].

إنّ إثبات السمع والبصر صفتان من صفات الذات وأنهما عين ذاته (سبحانه) تماما على حدّ الحياة والعلم والقدرة[٤١].

٦ـ الأزلية والأبدية:

الأزلي هو ما لا بداية له، والأبدي هو ما لا نهاية له، ويطلق على الأزلي في الاصطلاح (الباقي) والسرمدية هي الجامعة لكلا الوصفين، والخالق تعالى متصف بالأزلية والأبدية؛ لأنّه واجب الوجود، فلا يكون مسبوقا بالقدم فهو أزلي لا ملحوقا به فهو أبدي، أما وصفه تعالى بالقدم والبقاء، فالمراد فيه عدم المسبوقية والملحوقية بالعدم من دون لحاظ الظروف الزمانية الماضية والآتية، لأنّه تعالى منزه عنهما أو كيف يكون من خلق الزمان وأجراه في الوجود قعيدا به[٤٢]، كما في قوله تعالى: (**هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**)[٤٣].

إنّ الأزل عبارة عمّا لا افتتاح له سواء كان وجوديا كذات الله وصفاته، والقدم عندهم عبارة عمّا لا أول له بشرط أن يكون وجوديا[٤٤]. فمن صفاته سبحانه أنّه حي قديم منذ الأزل لا أول له ولا سابق عليه في الوجود وسرمدي باقٍ إلى الأبد لم يمت ولا يموت ولا يفنى إلى الأبد، فليس وراءه وجود آخر[٤٥]. إنّ الله سبحانه هو الخالق الأزلي القديم الأول والآخر والظاهر والباطن[٤٦].

فلا قديم إلا الله عزّ وجلّ وصفاته ذاته بلا تكثير ولا اعتبار ولا كيف فرو الشيء ولا شيء سواه، وليس له إضافة ولا شبه[٤٧].

المقصد الثاني: الصفات الفعلية:

الصفات العملية عبارة عن مفاهيم الشيء تنتزع من مقايسة الذات الإلهية بمخلوقاته من خلال ملاحظة نسبة وإضافة رابطة بينهما، وأنّ الخالق والمخلوق يمثلان طرفي الإضافة[٤٨].

وهي من الصفات المنتزعة من أفعاله جلّ وعلا، لذلك يصحّ نفيها أو إثباتها له تعالى لأنّ صدورها يكون حسب الحكمة والمصلحة[٤٩]، وصفات الفعل هي التي

يتوقف انتزاعها على الملاحظة الغير، وصفات الفعلية هي المنتزعة من مقام الفعل كالإرادة والحكمة[٥٠]، فيراد بها تلك التي يصحّ أن يتصف بها الله بأضدادها كما يجوز أن يخلو عنان والصفات الفعلية لما لم تكن جارية على الذات بلحاظ نفس الذات، بل بلحاظ وجود الأفعال فهي إذن حادثة بحدوث تلك الأفعال[٥١].

١ـ الإرادة:

إنّ الإرادة من صفاته سبحانه وتعالى والمريد من أسمائه. وهناك أقوال في تفسير إرادته تعالى، لدفع الخلاف في بيان حقيقة الإرادة، فذهب العلماء في ذلك مذاهب شتى تستعمل في معنيين على الأقلّ:

أحدهما: المحبة.

وثانيهما: التصميم على القيام بعمل[٥٢].

إنّ الإرادة هي الصفة الثبوتية لله سبحانه وتعالى، وإنّ الإرادة من الله، وحين تنسب إليه الذات المقدسة فهي تحتاج إلى مقدمات. وأحسن تعريف لها في سورة يس: **(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)**[٥٣]. فالإرادة فيه هي الإحداث بحسب علمه بالنظام الأصلح[٥٤].

إنّ الله سبحانه مريد وكاره؛ لأنّ تخصيص الأفعال بإيجادها في وقت دون آخر لابد له من مخصص وهو الإرادة، ولأنّه تعالى آمر ونهي وهما يستلزمان الإرادة والكراهية بالضرورة[٥٥].

٢ـ الكلام:

يتصف الخالق تعالى بكونه متكلما بلا خلاف في ذلك بين أهل الكلام لوروده في الكتاب الحكيم في عدة آيات منها في قوله تعالى:)وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً[٥٦]، ولا طريق لإثبات هذا الوصف لله تعالى من غير السمع لعدم اهتداء العقل إلى اتصاف واجب الوجود بها لو لم يخبر هو نفسه عن اتصافه بها[٥٧].

إنّ التكلُّم من صفات الفعل حيث يتوقف انتزاعه على تصور مخاطب يتلقى مقصود المتكلم ومراده بواسطة سماع صوت أو رؤية كتابة أو خطور مفهوم في ذهنه أو بأي صورة أخرى[٥٨].

وقد اتفقت عقيدة المسلمين على كون الباري متكلما وهي صفة ثبوتية كمالية له سبحانه[٥٩]. ومن ذلك أيضا وصفه سبحانه ما في الكون الذي هو فعله تعالى الجامع لكلّ مظاهر الإتقان والعظمة وصفه إياه بكلماته، قال تعالى: **(قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً)**[٦٠].

لا خلاف بين المسلمين في أنّ الله تعالى متكلم وقد دلّ على ذلك أيضا في القرآن الكريم قوله تعالى: **)وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ[٦١]**، ولكن اختلفوا في ماهية وحقيقة كلامه تعالى، فذهب الأشاعرة إلى أنّ كلامه تعالى «وصف قائم بذاته وليس بصوت ولا حرف، بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده

وجود غيره»[٦٢].

٣ـ الحكمة:

هي من الصفات الفعلية، والحكمة تطلق على قسمين:

أحدهما: كون الفعل في غاية الإحكام والإتقان، وغاية التمام والإكمال.

ثانيهما: كون الفاعل لا يفعل قبيحا ولا يخلّ بواجب[٦٣].

إنّ الأفعال الإلهية إنّما تتبع في واقعها من صفاته الذاتية، كالعلم والقدرة وحبه للكمال والخير فإنّ هذه الأفعال إنّما تتحقق دائما متوفرة عل المصلحة أي يترتب عليها الخير والكمال الغالب ويعبر عن هذه الإرادة بـ(الإرادة الحكمية)، ومن هنا تنتزع صفة أخرى لله تعالى من الصفات الفعلية ويجب علينا أن نؤكد بأنّ القيام لأجل ومصلحة والغاية، وإنّما الغاية الأصلية لأفعال الله هي حبه للكمال واللامتناهي الذاتي[٦٤]، وهي وضع الشيء في موضعه ومحله اللائق وحكمة الله تعالى تتعلق بصفته وإبداعه، وتعني معرفته بمخلوقاته كما هي وعلى حقيقتها وإيجادها في غاية الإحكام والإتقان بحيث لا تقبل النقص[٦٥]. كما في قوله تعالى:)**مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ**(٦٦]

المطلب الثاني

الصفات السلبية

ترجع الصفات السلبية التي تسمّى بصفات (الجلال) جميعها إلى سلب واحد، وهو سلب الإمكان عنه، فإنّ سُلِب الإمكان لازمه بل معناه سلب الجسمية والصورة والحركة والسكون والثقل والخفة وما إلى ذلك، بل سلب كل نقص ثم مرجع سلب الإمكان في الحقيقة إلى واجب الوجود والله تعالى واحد من جميع الجهات لا تكثير في ذاته المقدسة ولا تركيب في حقيقته الواحد الصمد[٦٧]. وهي من صفات الجلال وهي سالبة وقد دخلت أداة النفي على الصفة كنفي الشريك والتركيب[٦٨]. إنّ الصفات السلبية هي كل صفة لا تليق بجنابه تعالى ولا تنحصر فيما ذكر في لم الكلام والفلاسفة من أنّه تعالى ليس بمحدود ولا مرئي وليس بجسم[٦٩].

يتمحور البحث في هذا المطلب حول الصفات السلبية وهي الصفات التي يجب تنزيه الذات الإلهية عن الاتصاف بها وذلك إما أن تكون الصفة في حقيقتها وواقعها نقص بحيث لا يمكن أن يتصور فيها كمال المطلق كالجسمية مثلا وإما أن تكون بحدّ ذاتها كمال[٧٠].

وتنقسم الصفات السلبية على ما يأتي:

١ـ ليس له شريك:

التوحيد من أهم الصفات التي يتصف بها الباري تعالى، وهو يعني تنزيهه سبحانه عن الشريك، ويدلّ على أهمية هذه الصفة أن انقسام البشر إلا أديان عديدة ناشئ في الأغلب من الاختلاف فيها.

ويتجلّى التوحيد على صعيدي ذاته تعالى، فلا شريك له في ذاته وأفعاله، فلا شريك

لـه في فعلـه، ويُسـمّى الأول (التوحيـد الـذاتي)، والثـاني (التوحيـد الأفعـالي)، والأول يتجـلى بنحويـن:

ـ التوحيـد الـذاتي الأصـلي: ويعنـي نفـي التركيـب فهـو بسـيط لا جـزء لـه.

ـ التوحيـد الـذاتي الأوحـدي: ونعنـي بـه نفـي المثيـل فـلا ثـاني لـه.

ويتجلّى التوحيد الأفعالي بأنحاء مختلفة:

ـ التوحيد في الخالقية، فلا خالق إلا الله.

ـ التوحيـد في الربوبيـة، فـلا ربّ ولا مدبـر سـوى اللـه.

ـ التوحيـد في العبوديـة، فـلا معبـود سـوى اللـه.

فلـو كان البـاري جلّـت عظمتـه مركبـا لـكان مفتقـرا إلى أجزائـه أمـا في تحقيـق وجـوده وبقائـه أو في كـمال وتماميتـه في فاعليتـه مع أنّ الخالـق واجـب الوجـود[٧١]، كـما في الآيـة الكريمـة:)**قُـلْ هُـوَ اللَّـهُ أَحَـدٌ**(٧٢]، فنفـي الشريـك عنـه للسـمع وللتمانـع فيفسـد نظـام الوجـود ولاسـتلزمه التركيـب لاشـتراك الواجبـين في كونهـما واجبـي الوجـود فلابـد مـن مائـز[٧٣].

٢ـ ليس بجسم:

عـرِّفَ الجسـم بتعريفـات مختلفـة فالجسـم هـو مـا يشـتمل عـلى الأبعـاد الثلاثـة مـن الطـول والعـرض والعمـق، وهـو مـلازم للتركيـب والمركـب محتـاج إلى أجزائـه، والمحتـاج ممكـن الوجـود لا واجبـه[٧٤].

إنّ اللـه تعـالى ليـس بجسـم ولا عـرض بدليـل عقـلي ونقـلي أمـا الدليـل العقـلي فهـو كونـه تعـالى واجـب الوجـود، وسـمة واجـب الوجـود العقـلي المطلـق وعـدم احتياجـه إلى شيء في ذاتـه وصفاتـه وأفعالـه، أمـا الدليـل النقـلي فيكفـي فيـه قولـه تعـالى:)**لَيْـسَ كَمِثْلِـهِ شَيْءٌ**(٧٥].

ولـو كان جسـما لـكان كمثلـه شيء، بل أشـياء كـما لا يخفـى إضافـة إلى الآيـات الكثـيرة الدالـة عـلى سـعة وجـوده تعـالى وأنّـه عـلى كل مـكان ومـع كل شيء يحيـط بكل شيء ولا يخلـو منـه شيء[٧٦]. وكـما في قولـه تعـالى:) **وَهُـوَ مَعَكُـمْ أَيْـنَ مَـا كُنْتُـمْ**(٧٧].

وقـال أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام): «مَـا وَحَّـدَهُ مَـنْ كَيَّفَـهُ ولا حَقِيقَتَـهُ أَصَـابَ مَـنْ مَثَّلَـهُ ولا إِيَّـاهُ عَنَـى مَـنْ شَـبَّهَهُ ولا صَمَـدَهُ مَـنْ أَشَـارَ إِلَيْـهِ وتَوَهَّمَـهُ»[٧٨]، إنّـه تعـالى ليـس بجسـم ولا عـرض إنّ الجسـم عنـد الحكـماء وعلـماء الـكلام هـو الجوهـر المقابـل للأبعـاد الثلاثـة وعنـد بعضهـم هـو الجوهـر المركـب مـن جزأيـن أو صاعـدا، أي إن كان جسـما أو عرضـا لافتقـر إلى مـكان[٧٩].

إنّـه تعـالى ليـس بجسـم ولا جوهـر ولا عـرض ولا مـكان وجهـة، لأنّ الجسـم محتـاج إلى جزئـه والعـرض إلى محلـه والجوهـر وجـوده[٨٠].

٣ـ ليس بمرئي:

اتفقـت العدليـة عـلى أنّـه تعـالى لا يُـرى بالأبصـار لا في الدنيـا ولا في الآخـرة، وأمـا غيرهـم فالكراميـة والجسـمية الذيـن يصفون اللـه سـبحانه وتعـالى بالجسـم ويثبتـون لـه الجهـة، وجـوزوا رؤيتـه بـلا إشـكال في الداريـن وأهـل الحديـث والأشـاعرة[٨١].

مـما ينتفـي عنـه تعـالى بانتفـاء الجسـمية

الرؤيـة البصريـة، يتضّـح اسـتحالة رؤيتـه تعـالى عـلى الإطـلاق لتنزهـه تعـالى عـن الجسـمية وذهبـت الجسـمية إلى جـواز رؤيتـه تعـالى في الدنيـا فضـلا عـن الآخـرة، كـما ذهـب عامـة أهـل الحديـث والأشـاعرة إلى جـواز رؤيتـه تعـالى إلى يـوم القيامـة وأنّـه ينكشـف للمؤمنـين انكشـاف القمـر ليلـة البـدر. وقـد عرفـت فيـما تقـدم أنّ حكـم الفعـل القطبـي مقـدم عـلى الظواهـر النقليـة فـلا تصيـب شـيئا مـن هـذه الأقـوال مـن الصحـة[٨٢]. ولا تـراه العيـون ولا تدركـه الحـواس لا في الدنيـا ولا في الآخـرة.

ولقـد اتفقـت عـلى ذلـك الإمامية الحقـة[٨٣]، إنّـه يسـتحيل عليـه الرؤيـة لأنّ كل مـرئي فهـو ذو وجـه لأنّـه إمـا مقابـل أو في حكـم المقابـل بالـضرورة فيكـون صبحـا وهـو محـال، لقولـه تعـالى:)**لَـنْ تَـرَانِي**(٨٤)، لـن النافيـة[٨٥].

المبحث الثاني

نماذج تطبيقية للصفات الذاتية في سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

١ـ قـال تعـالى: (**اللَّـهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُـوَ الْحَـيُّ الْقَيُّـومُ**) (آل عمـران: ٢٥٥) .

ذكـر سـبحانه وتعـالى في هـذه الآيـة الكريمـة صفـة مـن صفاتـه وهـي الحيـاة حيـث أنّ اللـه سـبحانه يتميـز بهـذه الصفـة بأنّـه حـيّ وهـو الـذي لـه الحيـاة الدائمـة البقـاء، الـذي لا أول لـه يحـده ولا آخـر لـه نافـد.

٢ـ قـال تعـالى:)**إِنَّ اللَّـهَ لا يَخْفَـى عَلَيْـهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّـمَاءِ**((آل عمران: ٥).

جـاءت في هـذه الآيـة المباركـة صفـة العلـم وهـو أنّ اللـه سـبحانه عليـم بـكل شيء ولا يخفـى عليـه شيء لا في الأرض ولا في السـماء، وهـو العـالم بمـا كان وبمـا يكـون قبـل أن يكـون، وهـي ليسـت صفـة صريحـة وإنمـا تفهـم مـن مفهـوم الآيـة بـأنّ اللـه عـالم بـكلّ شيء.

٣ـ قـال تعـالى:)**هُـوَ الَّـذِي يُصَوِّرُكُـمْ فِي الأَرْحَـامِ كَيْـفَ يَشَـاءُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُـوَ الْعَزِيـزُ الْحَكِيـمُ**((آل عمـران:٦) .

ذكـر في هـذه الآيـة الكريمـة صفـة مـن صفاتـه بشـكل غـير صريـح، وهـي القـدرة حيـث إنّـه سـبحانه وتعـالى يفعـل مـا يشـاء بقدرتـه وكيفـما يشـاء ولـه القـدرة عـلى كل شيء مهـما كان.

٤ـ قـال تعـالى: (**قُـلْ أَؤُنَبِّئُكُـمْ بِخَـيْرٍ مِـنْ ذَلِكُـمْ لِلَّذِيـنَ اتَّقَـوْا عِنْـدَ رَبِّهِـمْ جَنَّـاتٌ تَجْـرِي مِـنْ تَحْتِهَـا الأَنْهَـارُ خَالِدِيـنَ فِيهَـا خَالِدِيـنَ فِيهَـا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّـرَةٌ وَرِضْـوَانٌ مِـنْ اللَّـهِ وَاللَّـهُ بَصِـيرٌ بِالْعِبَـاد**) (آل عمـران:١٥) .

لقـد جـاءت في هـذه الآيـة المباركـة صفـة البصـير حيـث إنّ اللـه سـبحانه وتعـالى بصـير بعبـاده ومطلـع عـلى كلّ أعـمال العبـاد ومـا يعملـون سرّا وعلانيـة، وإنّـه سـبحانه لا يخفـى عليـه شيء مهـما كان سـواء أظهـره الإنسـان أو أخفـاه.

٥ـ قـال تعـالى: (**قُـلْ اللَّهُـمَّ مَالِـكَ الْمُلْـكِ تُـؤْتِي الْمُلْـكَ مَـنْ تَشَـاءُ وَتَنْـزِعُ الْمُلْـكَ مِمَّـنْ تَشَـاءُ وَتُعِـزُّ مَـنْ تَشَـاءُ وَتُـذِلُّ مَـنْ تَشَـاءُ بِيَـدِكَ الْخَـيْرُ إِنَّـكَ عَـلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيـرٌ**). (آل

عمـران: ٢٦).
جاءت في هذه الآية الكريمة صفة القدرة أي أنّ اللـه سبحانه وتعالى قادر على كلّ شيء وبيده كلّ شيء يريده، وإنّه سبحانه يفعل ما يريد بقدرته التي أحاطت بكلّ شيء، وإنّه سبحانه قادر مقتدر على فعل كل شيء.
٦ـ قال تعالى: (**قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) (آل عمران: ٢٩).
لقد جاءت في هذه الآية المباركة صفة العلم حيث أنّ الله سبحانه وتعالى يعلم السرائر والضمائر والظواهر ولا يخفى عليه شيء، بل علمه محيط بكلّ شيء ولا يغيب عنه مقدار ذرة في جميع أقطار السماوات والأرض ويعلم ما تكنه الصدور وتعلنه، ولقد جاءت صفة القدرة بأن قدرة سبحانه نافذة في جميع الأمور وأنه قادر على كلّ شيء.
٧ـ قال تعالى: (**ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) (آل عمران:٣٤).
لقد ذكرت في هذه الآية الكريمة صفة السمع والعلم أي أن سبحانه سميع عليم أنّ سبحانه وتعالى سميع عليم بكل شيء وعلمه محاط بجميع الأشياء ويعلم ما يكنه الإنسان في نفسه والله يسمع لعباده.
٨ـ قال تعالى: (**إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**) (آل عمران: ٣٥).
لقد جاءت في هذه الآية المباركة صفة السمع والعلم، أي أن سبحانه يسمع لما يقول ويدعو في القلب، والعليم الذي يعلم ما في قلوب الناس ولا يخفى عليه أمر وأنه تعالى يعلم بكلّ ما يحاط بالكون من الأمور.
٩ـ قال تعالى: (**فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**) (آل عمران:٣٦).
لقد ذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية صفة العلم بكل شيء وأنه يعلم ما في أرحام الأمهات وأنه سبحانه عليم بكل شيء وأنه يعلم بكل شيء قبل أن يحدث وأنه تعالى أعلم بما كان قبل أن يكون وعلمه وسع كل شيء.
١٠ـ قال تعالى: (**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**) (آل عمران:٣٧).
لقد جاءت في هذه الآية المباركة صفة لكنها جاءت بشكل غير مباشر، وهي صفة القدرة حيث إنه سبحانه وتعالى قادر على أي شيء وإنّ بقدرته يرزق من يشاء بغير حساب وإنه سبحانه قادر مقتدر على فعل ما يريد وقدرته واسعة.
١١ـ قال تعالى:)**قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ**

وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) (آل عمران: ٤٠).

لقد ذكر في هذه الآية الكريمة صفة إلا أنها لم تذكر باسم صريح وإنما أشار إليها من خلال مثله لها، أي أنه سبحانه يقبل ما يشاء بقدرته ولا يعجزه أمر أو شيء يتعاظم عليه وأنه سبحانه وتعالى قادر على كلّ شيء وأنه إذا أراد شيئا يقول له كن فيكون.

١٢ـ قال تعالى: (**قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**)(آل عمران: ٤٧).

ذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية المباركة صفة القدرة أي انه سبحانه إذا أراد شيئا يقول له كن فيكون مما يدل على عظيم قدرته واستطاعته وأنه قادر على كل شيء ولا يصعب عليه شيء مهما كان.

١٣ـ قال تعالى: (**فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ**) (آل عمران:٦٣).

لقد جاءت في هذه الآية المباركة صفة العلم وجاءت عليم على وزن فعيل أي أنّ الله عليم بكل شيء ولا يوجد شيء لا يعلم به، أي أنّ علمه فاق كل شيء ويعلم بما يعمل الإنسان من عمل خير أو شرّ.

١٤ـ قال تعالى: (**هَاأَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**) (آل عمران: ٦٦).

لقد جاءت في هذه الآية الكريمة صفة العلم وجاءت علم على وزن فِعْل أي أنّ الله سبحانه يعلم ما تخفيه الصدور وما تعلنه ولا يخفى عليه شيء وهو يعلم ل شيء وإنّ الله سبحانه يعلم بأمور قبل حدوثها وإنّ الإنسان لا يعلم بها وهو العلم بكل الأمور.

١٥ـ قال تعالى:)**وَلا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**((آل عمران:٧٣).

ذكر في هذه الآية المباركة صفة العلم وأنه سبحانه وتعالى عليم بكل شيء وأنّ علمه واسع كل الأمور وأنّ كل ما يحصل ويدور فإنّ الله تعالى يعلم به، وهو يدبر الأمور للكون كله.

١٦ـ قال تعالى: (**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**) (آل عمران: ٩٢).

إنّ في هذه الآية المباركة صفة العلم أي أنه سبحانه عليم بكل شيء ولا يعزب عليه شيء يجازي كل إنسان بما يعمل بيوم الآخرة، فإنّ الله سبحانه وتعالى سيعطي كل إنسان بما عمل لأنه يعلم بكل شيء.

١٧ـ قال تعالى: (**وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ**) (آل عمران: ١١٥).

جاءت في هذه الآية المباركة صفة العلم أي أنّ الله سبحانه عليم لا يخفى عليه عمل عامل ولا يضيع لديه من أحسن عمل وهو يعلم بكل الأمور والله يعلم

بما يعمله الإنسان من العمل سواء عمل خيرا أم عمل شرا.

١٨ـ قال تعالى: (**هَاأَنْتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنْ الغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**)(آل عمران: ١١٩).

لقد ذكرت في هذه الآية الكريمة صفة العلم أي أنّ الله سبحانه وتعالى عليم بما في صدور الناس من الأمور وبماذا يدور في ذهنهم من الأشياء وأنه سبحانه لا يخفى عليه شيء مهما كان صغيرا أو كبيرا فهو عالم بكل شيء.

١٩ـ قال تعالى: (**وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) (آل عمران: ١٢١).

وردت في هذه الآية الكريمة صفتان وهما أنّ الله سميع عليم، أي أنّ الله سميع ويعلم بكل ما يدور في هذا الكون وما يعمله الناس وأنه سبحانه يسمع كل ما في داخل الإنسان ويعلم كل ما يجول في خاطر الإنسان وإنْ لم يظهره بذلك.

٢٠ـ قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**)(آل عمران: ١٢٦).

جاءت في هذه الآية الكريمة صفة البصير وإنّه سبحانه وتعالى بصير بعباده وبكل ما يفعلون وبصير بجميع الأمور وإنه تعالى يعلم بكل ما يدور في ذهن الإنسان من الأفكار ويعلم ما يخفونه في صدورهم.

٢١ـ قال تعالى: (**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**) (آل عمران: ١٢٩).

ذكر في هذه الآية صفة القدرة بشكل غير صريح، أي أنّ الله تعالى قادر ومقتدر على كلّ شيء ويفعل ما يريد بقدرته وإنّ قدرته كبيرة وواسعة على كل شيء.

٢٢ـ قال تعالى: (**ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنْ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنْ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمْ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**)(آل عمران: ١٥٤).

لقد وردت في هذه الآية المباركة صفة العلم إنّ الله سبحانه وتعالى عليم بما في صدور الناس وما يخفوه في صدورهم من الأفعال وإنه يعلم بما يفعلونه وبما سيفعلونه وإنه عليم بكل شيء.

٢٣ـ قال تعالى: (**هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**) (آل عمران: ١٦٣).

إنّ في هـذه الآيـة المباركـة وردت صفـة البصـير حيـث أنّـه سـبحانه وتعـالى بصـير بعبـادة بـكل مـا يعلمـون وأنـه تعـالى يعلـم بـكل شيء وإنّ علمـه فـاق جميـع الأشـياء.

٢٤ـ قـال تعـالى:)**أَوَلَـمَّا أَصَابَتْكُـمْ مُصِيبَـةٌ قَـدْ أَصَبْتُـمْ مِثْلَيْهَـا قُلْتُـمْ أَنَّى هَـذَا قُـلْ هُـوَ مِـنْ عِنْـدِ أَنْفُسِـكُمْ إِنَّ اللَّـهَ عَـلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيـرٌ**((آل عمـران:١٦٥).

جاءت في هـذه الآيـة المباركـة صفـة القـدرة أنّ اللـه سـبحانه قـادر عـلى كل شيء وقدرتـه واسـعة، وإنّ قدرتـه وسـعت كل شيء وهـو بيـده كل شيء مهـما كان.

٢٥ـ قـال تعـالى:)**وَلِلَّـهِ مُلْـكُ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّـهُ عَـلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيـرٌ**((آل عمـران: ١٨٩).

ذكـر في هـذه الآيـة المباركـة صفـة القـدرة حيـث إنّ اللـه سـبحانه قـادر عـلى كل شيء فـلا يعجـزه شيء فإنـه العظيـم الـذي لا أعظم منـه والقدير الـذي لا أقـدر منـه وإنّ اللـه تعـالى قدرتـه واسـعة.

الخـاتمة

توصلـت مـن خـلال البحـث المقـدم إلى أهـم النتائـج التالية:

١ـ اتفـق علـماء الـكلام عـلى تقسـيم صفـات اللـه سـبحانه وتعـالى إلى قسـمين هـما: الصفـات الإكراميـة والجلاليـة، والصفـات الإكراميـة هـي الصفـات الثبوتيـة والصفـات الجلاليـة هـي الصفـات السـلبية.

٢ـ ولقـد قسّـم علـماء الـكلام الصفـات الإكراميـة (الثبوتيـة) إلى صفـات ذاتيـة وصفـات فعليـة.

٣ـ أمـا الصفـات الذاتيـة فقسـموها إلى العلم والقـدرة والحيـاة والإدراك والسـمع والبـصر والأزليـة والأبديـة.

٤ـ والصفـات الفعليـة فقسـمها العلـماء عـلى أنهـا الإرادة والـكلام والحكمـة.

٥ـ والصفـات السـلبية هـي الصفـات التـي لا يتصـف بهـا اللـه سـبحانه ويتنـزه عنهـا لأنهـا تسـتلزم النقـص وهـي مسـتحيلة عليـه (سـبحانه وتعـالى) لأنّنـا أثبتنـا في مـا سـبق بأنـه الكـمال المطلـق فهـو يجـلّ عنهـا والصفـات السـلبية لا يمكـن حصرهـا بعـدد معـين ويمكـن أن تعـرف بأنهـا كل صفـة تسـتلزم منهـا نقـص أو تشـبيه لـه سـبحانه وتعـالى.

٦ـ لقـد ذكـرت في سـورة آل عمـران بعـض مـن الصفـات الذاتيـة ولقـد وردت فيهـا صفـة العلـم ولقـد جاءت ثلاثـة عـشر مـرة.

٧ـ ولقـد وردت صفـة القـدرة في السـورة تسـع مـرات.

٨ـ ولقـد وردت صفـة السـمع في السـورة أربـع مـرات.

٩ـ ووردت صفـة البـصر مرتـين في السـورة المباركـة.

١٠ـ أمـا صفـة الحيـاة فلقـد وردت مـرة واحـدة في السـورة.

الهوامش:

١- القبانجي، صدر الدين، محاضرات في أصول الدين: ثامن الحجج (ع)، النجف الأشرف)، ط١، ١٤٢٩هـ ص٥٢.

٢- الخرازي، محسن، بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية: (دار المحجة البيضاء ـ بيروت، لبنان)، ط١، (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص٦٥.

٣- المظفر، محمد رضا، عقائد الإمامية: (مطبعة النعمان ـ النجف الأشرف)، ص٣٩.

٤- العاملي، حسن مكي، بداية المعرفة: (الدار الإسلامية ـ بيروت)، ط١، ١٩٩١م، ص٩١.

٥- اليزدي، محمد تقي المصباح، العقيدة الإسلامية: (كليني ـ طهران)، ط١، ١٩٨٨م، ص٩٢.

٦- البغدادي، محمد بن محمد (المعروف بالمفيد)، تصحيح الاعتقادات الإمامية، صفات الله، فصل من صفاته الله الذات، ص٤١.

٧- الخرازي، محسن، بداية المعارف الإلهية في شرح العقائد الإمامية، ص٧٠.

٨- عليان، ورّ رشدي، الروري، قحطان عبد الرحمن، أصول الدين الإسلامي، (مطبعة جامعة بغداد)، ط٢، ١٩٨١م، ص١٠٢.

٩- المامقاني، محمد الأمين، عقيدتنا بداية العقيدة، (دار الزهراء ـ قم، إيران)، ط١، ١٣٨٧هـ ص٤٣.

١٠- سورة البقرة، الآية ٢٩.

١١- الحائري، كاظم الحسيني، أصول الدين: (دار البشير ـ شريعت)، ط٢، ١٤٢٥هـ ص١٠٧.

١٢- سورة الحديد، الآية ٤.

١٣- سبحاني، جعفر محمد، الإلهيات: (مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم المقدسة)، ط٩، ١٤٢٣هـ ص١٢٣.

١٤- الخرازي، محسن، بداية المعارف الإسلامية الإلهية في شرح عقائد الإمامية، ص٤٢.

١٥- الطباطبائي، محمد حسين، العقائد الإسلامية:(مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، لبنان)، ط١، ٢٠٠٢م، ص١٠٣.

١٦- شمس الدين، محمد جعفر، دراسات في العقيدة الإسلامية: (دار التعارف للمطبوعات)، ط٤، ١٩٩٣م، ص١٨٢.

١٧- سبحاني، جعفر محمد، الإلهيات، ص١٤٧.

١٨- ينظر:

١٩- سورة الفرقان، الآية ٥٨.

٢٠- العاملي، حسن مكي، بداية المعرفة، ص١١٠.

٢١- الموسوي، حسين أبو سعيدة، الفوائد والعبر في شرح الباب الحادي عشر، (مطبعة الكوثر ـ إيران، قم)، ط١، ٢٠٠٤م، ص٦٧.

٢٢- الميداني، عبد الرحمن حسن، العقيدة الإسلامية وأسسها، (دار القلم ـ دمشق)، ط٣، ١٩٨٣م، ص١٧٥.

٢٣- اليزدي، محمد نقي، العقيدة الإسلامية، ص٩٥.

٢٤- سورة البقرة، الآية ٢٠.

٢٥- سبحاني، جعفر محمد، الإلهيات، ص١٣٧.

٢٦- المامقاني، محمد الأمين، عقيدتنا بداية العقيدة، ص٣٣.

٢٧- سورة الحج، الآية ١٨.

٢٨- سبحاني، جعفر محمد، الإلهيات، ص١٣٧.

٢٩- المامقاني، محمد الأمين، عقيدتنا بداية العقيدة، ص٣٣.

٣٠- سورة الحج، الآية ١٨.

٣١- سورة اقصص، ألآية ٦.

٣٢- الحلي، الحسن بن يوسف المطهر، نهج الحق وكشف الصدق، (دار الهجرة ـ إيران، قم)، ط٤، ١٤١٤هـ ص٥٣.

٣٣- اللاّري، مجتبى الموسوي، دراسة في أسس الإسلام (مطبعة الهادي ـ إيران، قم)، ١٤٢٥هـ ص٤٥.

٣٤- العاملي، حسن مكي، بداية المعرفة، ص١١٥.
٣٥- سورة الأنفال، الآية ١٢، الخرازي، محسن، بداية المعارف الإلهية في شرح العقائد الإمامية، ص٤٧.
٣٦- المامقاني، محمد أمين، عقيدتنا بداية العقيدة، ص٥١.
٣٧- الحلي، نجم الدين أبو القاسم، المسلك في أصول الدين وتليه الرسالة لما تعنيه: (مؤسسة الطبع التابعة للأستانة الرضوية)، ط٣، ١٤٢٤هـ ص٤٧.
٣٨- سورة المجادلة، الآية ١.
٣٩- العاملي، حسن الإسلامي، بداية المعرفة، ص١١٤.
٤٠- سورة إبراهيم، الآية ٣٩.
٤١- الحيدري، كمال ـ كسار، جواد علي، التوحيد بحوث في مراتبه ومعطياته (دار ف٥راقد للطباعة والنشر)، ط٢، ٢٠٠٢م، ص٤٢٠.
٤٢- العاملي، حسن مكي، بداية المعرفة، ص١١٧.
٤٣- سورة الحديد، الآية ٣.
٤٤- الأشقر، عمر سلمان، العقيدة في الله (مطبعة الفلاح ـ الكويت)، ط٥، ١٩٨٤م، ص٢٠٦، المامقاني، محمد الأمين، عقيدتنا بداية العقيدة، ص٤.
٤٥- القره داغي، علي محيي الدين، العقيدة الإسلامية (دار التقريب ـ بيروت)، ط١، ٢٠٠٤م، ص٢٧.
٤٦- المامقاني، محمد الأمين، عقيدتنا بداية العقيدة، ص٤٩.
٤٧- الجيلاني، عبد الكريم إبراهيم، شرح رسالة التوحيد (مؤسسة البلاغ ـ بيروت، لبنان) ط١، ٢٠٠٧م، ص١٨٧.
٤٨- اليزدي، محمد تقي، العقيدة الإسلامية، ص١٠١.
٤٩- ينظر:
٥٠- الخرازي، محسن، بداية المعارف في شرح العقائد الإمامية، ص٤٠.
٥١- سبحاني، جعفر محمد، الإلهيات، ص١٤٥.
٥٢- شمس الدين، محمد جعفر، دراسات في العقيدة الإسلامية، ص١٨١.
٥٣- سورة يس، الآية ٨٢.
٥٤- المامقاني، محمد الأمين، عقيدتنا بداية العقيدة، ص٥٧.
٥٥- الموسوي، حسين أبو سعيدة، الفوائد والعبر، ص٦٩.
٥٦- سورة النساء، الآية ١٦٤.
٥٧- العاملي، حسن مكي، بداية المعرفة، ص١٢٧.
٥٨- اليزدي، محمد تقي، العقيدة الإسلامية، ص١١٢.
٥٩- المامقاني، محمد الأمين، عقيدتنا بداية العقيدة، ص٦١.
٦٠- سورة الكهف، الآية ١٠٩.
٦١- سورة الأعراف، الآية ١٤٣.
٦٢- الفضلي، هادي، خلاصة الكلام (مطبعة دار الثقلين للمطبوعات)، ١٩٨٨م، ص١١٧.
٦٣- سبحاني، جعفر محمد، الإلهيات، ص١٧٥.
٦٤- اليزدي، محمد تقي، دروس في العقيدة الإسلامية، ص١١١.
٦٥- المامقاني، محمد الأمين، عقيدتنا بداية العقيدة، ص٤٣.
٦٦- سورة الملك، الآية ٣.
٦٧- المظفر، محمد رضا، عقائد الإمامية، ص٣٩.
٦٨- المامقاني، محمد الأمين، عقيدتنا بداية العقيدة، ص٣٢.
٦٩- الخرازي، السيد محسن، بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية، ص٤٠.
٧٠- ينظر:
٧١- العاملي، حسن مكي، بداية المعرفة، ص١٦٧.
٧٢- سورة الإخلاص، الآية ١.

٧٣- السيوري، للفاضل المقداد، أضواء على النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر: (مطبعة وفا ـ إيران)، ط١، ١٤٣٤هـ ص١٢٢.
٧٤- سبحاني، جعفر محمد، الإلهيات، ص٢٠٠.
٧٥- سورة الشورى، الآية ١١.
٧٦- العاملي، حسن مكي، بداية المعرفة، ص١٨٠.
٧٧- سورة الحديد، الآية ٤.
٧٨- الشريف الرضي، محمد بن الحسن، نهج البلاغة، ط١، (دار المتقين ـ بيروت، لبنان)، الخطبة (١٨٦).
٧٩- الحلي، نجم الدين، الباب الحادي عشر:(دار الأضواء ـ بيروت) ط١، ٢٠٠٤م، ص٢٢١.
٨٠- التفتازاني، مسعود بن عمر، شرح المقاصد:(دار الكتب العلمية ـ بيروت)، ط١، ٢٠٠١م، ص٣٠.
٨١- سبحاني، جعفر محمد، الإلهيات، ص٢٠٢.
٨٢- العاملي، حسن مكي، بداية المعرفة، ص١٨٥.
٨٣- الصدر، علي الحسيني، العقائد الحقة :(مطبعة شريعت ـ قم)، ط٢، ص١٧٦.
٨٤- سورة الأعراف، الآية ١٤٣.
٨٥- الموسوي، حسين أبو سعيدة، الفوائد والعبر في شرح الباب الحادي عشر، ص١١٨.

المصادر والمراجع

● خير ما نبتدئ به هو كتاب الله سبحانه وتعالى (القرآن الكريم).
١. الأشقر، عمر سلمان، العقيدة في الله:(مطبعة الفلاح ـ الكويت)، ط٥، ١٩٨٤م.
٢. البغدادي، محمد بن محمد، تصحيح الاعتقادات الإمامية، فصل من صفات الله.
٣. التفتازاني، مسعود بن عمر، شرح المقاصد:(دار الكتب العلمية ـ بيروت)، ط١، ٢٠٠١م.
٤. الجيلاني، عبد الكريم إبراهيم، شرح رسالة التوحيد:(مؤسسة البلاغ ـ بيروت، لبنان)، ط١، ٢٠٠٧م.
٥. الحائري، كاظم الحسيني، أصول الدين: (دار البشير ـ شريعت)، ط٢، ١٤٢٥هـ.
٦. الحلي، الحسن بن يوسف المطهر، نهج الحق وكشف الصدق: (دار الهجرة ـ إيران، قم)، ط٤، ١٤١٤هـ.
٧. الحلي، نجم الدين أبو القاسم، مسلك في أصول الدين وتليه الرسالة المانعية:(مؤسسة الطبع والنشر التابعة للأستانة الرضوية)، ط٣، ١٤٢٤هـ.
٨. الحلي، نجم الدين، الباب الحادي عشر:(دار الأضواء ـ بيروت)، ط١، ٢٠٠٤م.
٩. الحيدري، كمال ـ كسار ـ جواد علي، التوحيد بحوث في مراتبه ومصطلحاته: (دار الفراقد للطباعة والنشر)، ط٢، ٢٠٠٢م.
١٠. الخرازي، محسن، بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية: (دار المحجة البيضاء ـ بيروت، لبنان)، ط١، ٢٠٠٦م.
١١. سبحاني، جعفر محمد، الإلهيات:(مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم المقدسة)، ط٩، ١٤٢٣هـ.
١٢. السيوري، للفاضل المقداد، أضواء على النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر:(مطبعة وفا ـ إيران)، ط١٤٣٤،١هـ.
١٣. الشريف الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة:(دار المتقين ـ بيروت، لبنان)،ط١ (د.ت).
١٤. الصدر، علي الحسيني، العقائد الحقة:(مطبعة شريعت ـ قم)، ط٢ (د.ت).
١٥. الطباطبائي، محمد حسين، العقائد الإسلامية: (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، لبنان)، ط٤، ١٩٩٣م.
١٦. العاملي، حسن مكي، بداية المعرفة: (الدار الإسلامية ـ بيروت، لبنان)، ط١، ١٩٩١م.
١٧. عليان، ورّ رشدي، الدوري، قحطان عبد الرحمن، أصول الدين الإسلامي، (مطبعة جامعة

بغـداد ـ بغـداد)، ط٢، ١٩٨١م.
١٨. الفضـلي، هـادي، خلاصـة الـكلام: (مطبعـة دار التعـارف للمطبوعـات)، ١٩٨٨م.
١٩. القبانجـي، صـدر الديـن، محـاضرات في أصـول الديـن: (ثامـن الحجـج (ع) ـ النجـف الأشرف)، ط١، ١٤٢٩هـ.
٢٠. القـره داغـي، عـلي محيـي الديـن، العقيـدة الإسـلامية:(دار التقريـب ـ بـيروت)، ط١، ٢٠٠٤م.
٢١. الـلاري، مجتبـى الموسـوي، دراسـة في أسـس الإسـلام:(مطبعة الهـادي ـ إيـران، قـم)، ١٤٢٥هـ.
٢٢. المامقـاني، محمـد الأمـين، عقيدتنـا بدايـة العقيـدة: (دار الزهـراء ـ قم، إيـران)، ط١، ١٣٨٧هـ.
٢٣. المظفـر، محمـد رضـا، عقائـد الإمامية:(مطبعـة النعـمان ـ النجـف الأشرف).
٢٤. الموسـوي، حسـين أبـو سـعيدة، الفوائـد والعـبر في شرح البـاب الحـادي عشر:(مطبعـة الكوثـر ـ إيـران، قـم)، ط١، ٢٠٠٤م.
٢٥. الميـداني، عبـد الرحمـن حسـن، العقيـدة الإسـلامية وأسسـها:(دار القلـم ـ دمشـق)، ط٣، ١٩٨٣م.
٢٦. اليـزدي، محمـد تقـي مصبـاح، العقيـدة الإسـلامية: (كلينـي ـ طهـران)، ط١، ١٩٨٨م.